صُنْدُوقُ الذَهَبْ

كانت الست ليلى تعمل فى تجارة البهائم، تقوم بتسمين البهيمة، وتعدها للبيع لأحد التجار أو المشترين الذين يترددون عليها من حين لآخر، وكان موسم عيد الأضحى قد بدأ، وأخذ المشترون يترددون على الست ليلى، ليشتروا البهائم التى سيضحون بها بعد صلاة العيد مباشرة.

كان عيد الأضحى أفضل العيدين بالنسبة للست ليلى، حيث ستجنى أرباحا كثيرة من بيع البهائم، وبعد الانتهاء من مهمة البيع والشراء، تذهب إلى محل الذهب لتعطى الصائغ الأموال الورقية والفضية، ليعيدها إليها مرة أخرى بعد تحويلها إلى جنيهات من الذهب.

عادت الست ليلى إلى المنزل فى نهاية اليوم لتدخل غرفتها سريعا، لتخبئ الجنيهات الذهبية فى صندوقها، وكانت تخبئ الصندوق حتى لا يعبث به أحد أولادها الثلاثة، فرحان ومستور ورابح أكبرهم.

كان الصندوق أسود، وعرضه متر أو يزيد، كانت الست ليلى تخفى بداخله الأموال حتى يرثه أولادها بعد أن يتولاها الله، ولكن رابح قد عرفت يده طريقها للصندوق يوما ما، حتى أخذ منه ما أراد، وذهب هو وأصدقاؤه إلى الجناين، وأخذ ينفق الأموال ببذخ على نفسه وعلى أصدقائه، وبعد عودته واجهته أمه بما أخذ، حيث كانت تقوم بتفقد الصندوق يوميا، وتقوم بعملية إحصائية للأموال به.

عرفت الست ليلى بعد حادثة رابح أنه لا مكان للصندوق بالمنزل، فأتت بقفل من الأقفال الكبيرة والقديمة السوداء، وأغلقت به الصندوق بإحكام، أخذت تفكر قليلا فى الشخص المناسب التى تخبئ عنده الصندوق، ولم تجد أفضل من العم شاكر صاحب الأسرة منذ زمن طويل؛ حيث كان صديق زوجها وأبيها رحمهم الله.

وكان العم شاكر رجلا فقيرا نوعا ما، وكان بيته قد كان قاب قوسين أو أدنى من السقوط، حتى أسرع إليه العم شاكر، فأسنده بعمودين من الخشب المتين.

ذهبت الست ليلى بصندوق الذهب إلى العم شاكر، دون علم أبنائها الثلاثة، تلقاها العم شاكر بالترحاب والسرور.

قالت الست ليلى:

- ياعم شاكر، أريد ترك أمانة عندك، وأنا أعرف أنك رجل أمي، ويصون الأهل والجيرة ولم أجد أفضل منك لأترك عنده هذا الصندوق.

قال العم شاكر:

-أمرك يا ست الكل، اتركى الصندوق كما تشائين، ولا تقلقى، فلن يقربه أحد أبدا.

قالت الست ليلى بامتنان:

- شكرا ياعم شاكر.

وذهبت الست ليلى إلى حالها وتركت الصندوق الملئ بالذهب فى أمانة العم شاكر.

ومرت السنوات لنجد الست ليلى على فراش الموت تحتضر وأبناؤها الثلاثة من حولها.

قالت الست ليلة بصوت ضعيف مبحوح:

- يارابح، يابنى.

تقدم رابح منها وقال:

-أسمعك يا أماه.

قالت الست ليلى: اذهب سريعا وناد عمك عبد الباقى.

قال رابح: حالا يا أماه.

وأسرع رابح ليجلب عمه عبد الباقى وقد كان صديقا للأسرة أيضا، وكانت الست ليلى تريده حتى تشهده على ميراث أبنائها حتى لا يجور أخ على نصيب أخيه.

وعندما حضر العم عبد الباقى قالت الست ليلى:

-أريد أن أشهدك ياعم عبد الباقى على ما سأقوله الآن، ثم اتجهت لأبنائها تقول:

- اسمعوا يا أبنائى، ميراثكم صندوق الذهب، توزعونه بينكم بشرع الله سبحانه،

نظر الرجال إلى بعضهم البعض واندهش مستور وفرحان من صندوق الذهب هذا.

أكملت الست ليلى :

-الصندوق موجود عند عمكم شكرى أمانة ومغلق بقفل قد وضعته عليه منذ سنوات، اذهبوا واطلبوه، ،

أخرجت حشرجة من حلقها وسعلت ثم اكملت:

obeikan.com

ولتكونوا دائما سندا لبعضكم البعض، ولاأخ يغير على أخيه أبدا.

بعدها سكن جسدها وارتفعت روحها إلى السماء، وبعد أن أخذ أبناؤها العزاء، ذهب رابح ومستور والعم عبدالباقى إلى العم شاكر وطلبوا منه الصندوق، ولكنه أخبرهم بأن أخاهم فرحان يجب أن يكون حاضرا معهم ليفتحوه كلهم معا، ولا يغيروا منه، وافق الأخان والعم عبد الباقى وذهبوا على أن يعودوا غدا مع فرحان.

وجاء الغد سريعا وذهب الرجال الأربعة إلى العم شاكر، أدخلهم العم شاكر إلى غرفة الصندوق وأخرجه لهم ليدهشوا، لم يدهشوا لمرأى الصندوق، ولكن لمرأى القفل، كان القفل حديثا وقد أخبرتهم أمهم أن القفل منذ سنوات، فيجب أن يكون قد صدأ وألا يبدو جديدا.
وقام العم شاكر بكسر القفل الجديد،
وفتح الصندوق، وكانت المفاجأة، مفاجأة ما بداخل الصندوق:
سكر وزيت وشاى وبن وصابون، لا توجد أموال ولا جنيهات ذهبية،
أصبح العم شاكر صاحب البيت المهدد بالسقوط صاحب أراض وعمارات، وبعد وفاته ورثه أبناؤه ولم يأخذ معه شئ من أملاكه سوى عمله المكتوب عند الله تعالى.

وكانت بئس الخاتمة.

أحمد محمد مغاوي
2سبتمبر 2017